بسم الله الرحمن الرحيم

دلالة اللفظ القرآني بين التعبير البلاغي والمفهوم العلمي

الدكتور أحمد الصفار

دلالة اللفظ القرآني بين التعبير البلاغي والمفهوم العلمي.....1
تقديم:.....2
الهدف من الدراسة:.....4
{وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} 5
الإيساع بمعنى التمدد المكاني 6
(وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً) بين التعبير البلاغي والمفهوم الكيميائي:.....7
(اشتعل) في المفهوم الكيميائي: 10
الشيب المفاجئ.....12
لماذا الرأس وليس الشعر مرة أخرى: نظرة كيميائية؟.....13
الخلاصة 13
المصادر.....15
تعريف بالباحث ..... Error! Bookmark not defined.

تقديم:

إن مظاهر التعبير القرآني ألّا أحد يستطيع أن يجاريه في أسلوبه، فيجري بنسق خاص في أسلوبه، فلا قوافي شعرية أو سجع النثر أو فنون الكتابة وتعبيراتها. لقد تميّز القرآن الكريم بالمحافظة على جمال اللفظ وروعة التعبير، والمستوى الرفيع من هذا الجمال اللفظي، ودقة التعبير واختيار اللفظ المناسب، وثبات اللفظ وتغير معناه بتغير الموضوع أو الحدث. والملفت حقا إن ألفاظ القرآن الكريم وعباراته مصوغة بشكل عجيب، وبكيفية مذهلة، بحيث تصلح أن تكون خطابا لمختلف المستويات من الناس، وتتجدد بزيادة معرفة الإنسان وتنفتح على آفاق المعرفة من غير أن يحدث ذلك تناقضا أو تضاربا. وكل ذو فن وعلم يستطيع أن ينهل منها في مجال تخصصه وتبقى مصداق لمعنى اللفظ الذي ساقه القرآن الكريم. ويتصف التعبير القرآني بالتجديد في الأسلوب، وذلك من تصريف بعض المعاني وتكرارها بقوالب مختلفة من التعبير والأسلوب البياني، بشكل يضفي عليها الجدة، ويلبسها ثوبا غير الذي كانت تلبسه، بحيث تظهر وكأنها بمعنى جديد. وتتسع دلالتها.

إن التعبير القرآني غني ومملوء حركة وحياة، وتتحرك فيه كل الحواس. فتجعل المخاطب يتخيل المعنى المجرد وكأنها صورة ناطقة يتحسس فيها الحركة والحياة. ولأن المعنى متجدد فيلزمنا من خلال تنامي معرفة الإنسان أن ندرك معنى اللفظ القرآني الجديد الذي تتحقق فيه صعوبة تفسيره بفن واحد من فنون المعرفة لا تفسير اللفظ نفسه. " فيكون من الطبيعي أن يواجه الإنسان صعوبات كبيرة إذا حاول تحديد المعنى في مصداق معين، وتجسيد المفهوم

في ذهن ضمن واقع خاص"[1]. فيهتم علم التفسير في "البحث عن مدلول كل لفظ أو جملة في القرآن الكريم، لأن كون هذا المعنى أو ذاك مدلولا للفظ القرآني من صفات القرآن بوصفه كلاما لله"[2].

وفي هذا البحث سنستعرض بعض الألفاظ القرآنية بمدلولات تضفي على ما قدمها المفسرون غزارة في المعنى وتزيح بعض الغموض فيما لم ينجح المفسر من التوصل له أو لم يستكمل تفسير المعنى ويتأتى ذلك من الاعتماد على فنون المعرفة الأخرى. من غير أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، أو يحاول أن يلوِ الآية لإدخال معناها حشرا في مفهوم ما فيدخله حينئذ في زمرة من فسر القرآن بالرأي والعياذ بالله لأن ذلك منهي عنه: [من فسّر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ خرّ أبعد من السماء][3]

وعلى أي حال فإن "حمل اللفظ على معناه الظاهر ليس تفسيرا لان التفسير كشف القناع، ولا قناع على المعنى الظاهر، وقد يقال إن هذا الجواب لا ينطبق على بعض الحالات حينما يكون الدليل مشتملا على ظواهر اقتضائية عديدة متضاربة، على نحو يحتاج تقدير الظهور الفعلي المتحصل من مجموع تلك الظواهر بعد الموازنة والكسر والانكسار، إلى نظر وإمعان، فيكون لونا من كشف القناع. ولهذا نرى أن الفقهاء قد يختلفون في فهم دليل: فيفهم بشكل من فقيه: ويأتي فقيه آخر فيبرز نكتة من داخل الدليل تعين فهمه بشكل آخر على أساس ما تقتضيه تلك النكتة من ظهور"[4]. ومع الاعتراف بأن "المنهيّ عنه من تفسير القرآن بالرأي هو ما كان من قبيل الفهم الذاتي وتحميل الآراء الشخصية على القرآن الكريم لنصرة

الفكرة المتبنّاة سابقاً، كما فعل بعض المفسّرين عندما قام بتفسير آياته من خلال النظريات والعلوم الحديثة، مع أنّ هذا النوع من التفسير يمسّ إعجاز الكتاب؛ لأنّه يصاحبه القول ببطلان الآية عند بطلان النظرية المفسّرة بالآية أو تبدّلها كما هو المعتاد في سير العلوم وتطوّرها، فالقرآن كما هو معلوم كتاب هداية للبشر وليس موضوعاً لغرض طرح النظريات العلمية"[5].

صحيح أن القرآن الكريم لم يكن كتابا علميا، جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أجل تفسير بعضا من النظريات العلمية، وإنما لتحقيق هدفٍ منشودٍ، وهو هداية الإنسان وتربيته، أي هداية الخلق إلى طريق الحقّ.

الهدف من الدراسة:

لقد تمّ الاعتماد في هذه الدراسة في بيان معاني بعض الألفاظ –كنموذج– لم تعطَ المعنى الأدق لها كما يرى الكاتب مع مراعاة تجديد معناها، اعتماداً على التّفاسير المعتمدة والآيات ذات الصلة، وذلك بأسلوبٍ مكتبيٍّ وبالاستناد إلى المصادر الموثّقة.

فإن تكوين المدلول العام للفظ والكلام يعتمد على خصوصيات الظروف الموضوعية وللتاريخ دورا في رسم مدلول اللفظ. ولا يجب إخضاع النص القرآني للإطارات الفكرية الخاصة التي يعيشها الإنسان في زمن معين، وللخلاص من هذه الحالة السلبية يجب "أن ينظر للقرآن الكريم كوحدة لفظية وكلامية متكاملة بحيث لا يمكن أن نفهم فقراته أو آياته إلا من خلال النظر الى

جميع أبعاد وجوانب هذه الوحدة اللفظية وكذلك الى جميع فقراتها"[6]، وتتلخص "عوامل تجديد معنى اللفظ بالأمور التالية:"[7]

1. الوضع اللغوي للفظ، فإن كل لفظ في اللغة نجد في جانبه معنى خاصا محددا له.
2. القرائن اللفظية ذات التأثير الخاص على الوضع اللغوي والتي تسبب صرف اللفظ عن معناه الحقيقي، وهذا هو الشيء الذي يحصل في الاستعمالات المجازية، بما للمجاز من مدلول عام يشمل الاستعارة والكناية وغيرهما.
3. القرائن الحالية التي يكون لها أيضا تأثير خاص على المدلول اللفظي

{وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}[8]

جاء معنى التوسعة: أن "تقال في الأمكنة، وفي الحال، وفي الفعل كالقدرة والجود ونحو ذلك"[9] وبالإضافة الى القدرة وهذا ما اتفق عليه باقي المفسرين من معنى الإيساع في الآية: " الْإِيسَاعُ: النظر في الإفعال الى قيام الفعل بالفاعل وصدوره منه، فالإيساع يدلّ على قيام الوسع وصدوره من الفاعل، فيظهر ويتجلّى منه البسط والوسع، وهو يبسط رحمته وفضله وكرمه وجوده وإحسانه بمقتضى الواسعيّة في ذاته وصفاته فهو تعالى واسع في نفسه وبذاته، وموسع في مقام الإفاضة"[10]. وانتهى الطباطبائي الى نفس المدلول وأضاف له التوسعة المكانية فقال: "من المحتمل أن يكون **{مُوسِعُونَ}** من –أوسع في النفقة أي كثّرها– فيكون المراد **توسعة خلق السماء كما تميل إليه الأبحاث الرياضية اليوم**"[11]، وتتأكد هذه الدلالة بأن "الإيساع الإكثار من إذهاب الشيء في الجهات"[12]. وأعطي مدلولا آخر لا يتعدى ذلك فجاء

بمعنى خلقا آخر أعظم منها وهذا ما قاله بن عباس: "أي قادرون على خلق ما هو أعظم منها"[13] بينما ذهب الحسن الى أن الإيساع هو في الرزق: " إنا لموسعون الرزق على الخلق بالمطر"[14]، غير أنّ هذا المعنى المجازي للسعة يتوقف على جاز مجاز آخر في كلمة (أيد) مجازا من القدرة الى النعمة في (موسعون)،كما قال الطباطبائي: "والسماء بنيناها بقدرة لا يوصف قدرها وإنا لذووا سعة في القدرة لا يعجزها شيء ، وعلى الثاني : والسماء بنيناها مقارنا بناؤها لنعمة لا تقدر بقدر وإنا لذووا سعة وغنى لا تنفد خزائننا بالإعطاء والرزق نرزق من السماء من نشاء فنوسع الرزق كيف نشاء"[15]. وهو مجاز شائع أيضا.

الإيساع بمعنى التمدد المكاني

وما يتعلق بالمدلول الجديد لمعنى الإيساع قام (ادينكتون) عام 1931 م بتنظيم نظرة (التوسّع الكوني) وتقديمها الى جامعة لندن كحقيقة ثابتة من عالم الوجود. وخلاصة النظرة: "أنّ عالم المجرّات– وهي تفوق الملايين– قد تحوّلت من حالتها الهامدة التي كان يفرضها (أينشتاين) في شكلها المنحني الى صورة كرة دائرية تتضخّم وتتوسّع شيئا فشيئا، وسرعة هذا التوسّع تبلغ في شعاع مطّرد مع ضعف الزمان. ففي مدّة ملياردَيْ عام (عمر الأرض) ازداد هذا الشعاع بضعف. وهي سرعة هائلة يطّرد معها توسّع الكون وانبساط هذا الفضاء الرحب."[16]

فيكون المعنى في التوسعة المكانية بمعطيات المعرفة الجديدة بينما ذهب بعض المفسرين الى التوسعة بالرزق على الخلق بالمطر. وبتجديد معنى اللفظ يضفي غزارة على المدلول للفظ القرآني.

(وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً)17 بين التعبير البلاغي والمفهوم الكيميائي:

"الاشتعال انتشار شواظ النار ولهيبها في الشيء المحترق"[18]، والاشتعال في هذه الآية "من أحسن الاستعارات والمعنى اشتعل الشيب في الرأس وانتشر، كما ينتشر شعاع النار، وكان المراد بالشعاع الشواظ واللهيب"[19]. لقد شبّهت الآية ظهور الشيّب باشتعال النار. وذلك "في تصوير تسارع انتشار الشيب في رأسه حتى عمّ الرأس بحالة الاشتعال الذي يسارع انتشاره في الهشيم، براعة تدلّ على الحالة النَّفسيّة التي أخذ يعاني منها، والتي بدأت تكويه بنار اليأس التي أخذ لَهَبُهَا ينتشر شيباً في شعر رأسه"[20]. "فالمستعار منه (المشبّه به): النار وقد استعار منها الاشتعال. والمستعار له (المشبَّه): الشّيب. أما الجامع بينهما فهو (وجه الشبه): التّدرّج في الاشراق والوضوح. وقد اشتق من الاشتعال فعل (اشتعل) مصرّحا بذكر المستعار منه، فهي إذاً: استعارة تصريحية لجهة المستعار منه، وتبعية لأن لفظ الاستعارة فعل (اشتعل)"[21].

ومنهم من عبَّر عن دلالة الاشتعال بالانتشار فإن: "الاشتعال انتشار شعاع النار، وقوله: {وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً}، من أحسن الاستعارات، والمعنى اشتعل الشيب في الرأس وانتشر كما ينتشر شعاع النار، يُقال للشيب إذا كثر جداً قد اشتعل الرأس"[22]. والاستعارة هنا "لتهلّل البياض المتجلّل به شيب الرأس، وهيج النار، وهي استعارة غريبة لم تعرفه العامّة ولم يسبق لها نظير في كلام العرب. إنه تشبيه، فما أحلاه من تشبيه واستعارة، فما أجملها من استعارة!"[23].

وقد كتب كثيرون وأسهبوا في استعارة اللفظ (اشتعل). ومنهم من جعل الاستعارة بمعنى آخر "فشبَّه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر، فشوّه فيه وأخذه منه كل مأخذ، باشتعال النار؛ ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس"[24]. وآخر "شبّه عموم الشّيب شعرَ رأسه أو غلَبَته عليه باشتعال النار في الفحم بجامع انتشار شيء لامع في جسم أسود، تشبيهاً مركباً تمثيلياً قابلاً لاعتبار التفريق في التشبيه، وهو أبدع أنواع المركّب. فشبه الشعر الأسود بفحم والشعر الأبيض بنار على طريق التمثيلية المكنية ورمز إلى الأمرين بفعل (اشتَعَل)"[25]

والمتأمل في هذا التشبيه يجد "أن النار أيضاً تتغذى على الحطب وتظل مشتعلة لها لهباً يعلو طالما في الحطب الحيوية النباتية التي تمد النار، فإذا ما انتهتْ هذه الحيوية النباتية في الحطب أخذت النار في التضاؤل، حتى تصير جَذْوة لا لَهبَ لها ثم تنطفئ"[26].

لقد أجمع علماء البلاغة على أن الاستعارة في هذه الجملة من ألطف الاستعارات وأحسنها لفظًا ومعنى، فقد جمعت بين الإيجاز والإعجاز؛ إذ فيها من فنون البلاغة، وكمال الجزالة ما لا يخفى، "حيث كان الأصل أن يقال:(واشتعل شيبُ الرأس)؛ وإنما قلب للمبالغة، فقيل:(واشتعل الرأس شيبًا)، فأسند الاشتعال للرأس في اللفظ، وهو في الحقيقة مسند للشيب في المعنى، فأفاد بذلك مع لمعان الشيب في الرأس–الذي هو أصل المعنى– العموم على سبيل الاستغراق والشمول، وأن الشيب قد شاع في الرأس كله، وأخذه من نواحيه، وعمّ جملته، حتى لم يبق من السواد شيء، أو لم يبق منه إلا ما لا يعتد به. وهذا المعنى لا يمكن أن يفهم

لو قيل:(اشتعل شيبُ الرأس)؛ بل لا يوجب اللفظ –حينئذ– أكثر من ظهور الشيب في جانب أو أكثر من جوانب الرأس. ويبين لك ذلك أنك تقول:(اشتعل البيت نارًا)، فيكون المعنى: أن النار قد وقعت في البيت وقوع الشمول، وأنها قد استولت عليه، وأخذت في جميع أطرافه ووسطه. أما قول:(اشتعلت النار في البيت)، فلا يفيد ذلك المعنى الذي أفاده الأول؛ بل لا يقتضي هذا أكثر من وقوع النار في البيت وإصابتها جانبًا منه أو أكثر. فأما الشمول وأن تكون قد استولت على البيت وابتزته فلا يعقل من اللفظ البتة، ونظير هذا في التنزيل قوله عز وجل: {وَفَجَّرْنَا ٱلأَرْضَ عُيُوناً}[27]، التفجير للعيون في المعنى، وواقع على الأرض في اللفظ كما أسند هناك الاشتعال على الرأس، وقد حصل بذلك من معنى الشمول ههنا مثل الذي حصل هناك، وذلك أنه قد أفاد أن الأرض قد كانت صارت عيونا كلها، وأن الماء كان يفور من كل مكان فيها"[28]. وعليه نستنتج من الاستعارة جاءت لتعني الانتشار، وسرعة الانتشار، والشمول، والإحاطة من جميع الجوانب.

إن الصياغة القرآنية لهذه الآية كما لكل آيات القرآن الكريم هي التي تهبها جمالية خاصة، سواء كان ذلك من حيث التركيب اللفظي من تقديم وتأخير للألفاظ أو من حيث التركيب اللغوي. "أنّا نعلم أنّ «اشتعل» للشيب في المعنى، وإن كان هو للرأس في اللفظ. فلو غيّرته وأسندته إلى الشيب وأضفت الشيب إلى الرأس ليكون على حقيقته، وقلت «اشتعل شيب الرأس» أو «الشيب في الرأس»، فهل تجد ذلك الحسن، وتلك الفخامة؟ وهل ترى الروعة التي كنت تراها في الآية؟"[29]. ولو أضفنا لمسة فنية جديدة للفظ (اشتعل) من علم الكيمياء تضفي

بلاغة فوق بلاغة اللغة العربية لإظهار الحكمة من اختيار هذا اللفظ في القرآن الكريم. كما أن هناك في القرآن الكريم ألفاظا عديدة تحتاج الى إظهار بلاغة القرآن الكريم من خلال العلوم الأخرى إضافة لما قدمه الآخرون في تفسيرها وبيان معانيها.

(اشتعل) في المفهوم الكيميائي:

قال أرباب المعجمات وغيرهم من يهتم بمعاني الألفاظ وتحليلها أن: "الشعل هو التهاب النار، ويقال: شعلة من النار، وقد أشعلتها، والشعيلة: الفتيلة إذا كانت مشتعلة، وقيل: بياض يشتعل. ولفظ (حرق) أن: "أحرق كذا فاحترق، والحريق: النار"[30]، وقال تعالى: (وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ)[31]، وقال تعالى: (فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ)[32]. وذكرت لفظ حرق لقربهما بالدلالة ولكن لبعدهما بالمعنى بلاغيا وكيميائيا. فكيميائيا أن الاشتعال هو احتراق ذاتي أما الاحتراق فيتم بواسطة، ولتقريب المطلب مثلا: اشتعال عود الثقاب من عملية احتكاك بسيطة تؤدي لتكوين حرارة كافية لاتقاد مواد سريعة الاشتعال في رأس عود الثقاب. وبها يحترق العود وليس يشتعل مكونا لهبا. وما يتم في جسم الكائن الحي هو احتراق ذاتي للمواد الكيميائية يعني (اشتعال). فعود الثقاب يشتعل ويولد اللهب، وبهذا اللهب يحترق الخشب، ولا يحترق اخشب لذاته تلقائيا.

فالفرق بائن بين لفظي الاشتعال والاحتراق، بعدما قدمنا للفروق اللغوية والكيميائية بين اللفظين (اشتعل) و (احترق). والآن نعود لتحليل سبب استخدام اللفظ (اشتعل) بدلا عن (احترق) في الآية الشريفة: قال الله سبحانه وتعالى: (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً)[33]، فجاء لفظ

(اشتعل) وقد تعرضنا له بلاغيا. أما أذا استبدل هذا اللفظ بـ(احترق)، فهذا يعني كيميائيا أن الرأس بما فيه سيقرّب من النار فيحترق. وليس هذا ممكنا لإنسان عاقل وحسبك النبي زكريا عليه السلام. كما وأنه غير ممكن لغويا فحرق الشعر يعني "تقصير الشعر"[34]، أو "يتقطع الشعر وينسل"[35]، وأيضا يعني "تقصير شعر الذقن عن شعر طول العارضين"[36]. فالاشتعال في الآية الكريمة هي في الحقيقة هو اشتعال المادة الصبغية الموجودة في بصيلات الشعر اشتعالا كيميائيا، أي احتراقا ذاتيا يؤدي الى تغير لون الشعر بواسطة انزيم. وهذه التفاعلات الكيميائية تؤدي الى تغيير لون الشعر من اللون الداكن الى الأبيض أي بغياب اللون.

إن بتقدّم العمر فإن الخلايا الصبغية **(melanocytes)** في بصيلات الشعر تتوقف عن انتاج مادة الميلانين بنوعيها: **(eumelanin)** وهي المسؤولة عن لون الشعر الداكن (الأسود والبني)، والثانية **(pheomelanin)** المحددة لاحمرار أو اصفرار الشعر. ويعتمد اللون النهائي للشعر على نسبة إحداهما للأخرى، وينتج عن ذلك شعر بدون لون. وفي النهاية يكون الشعر خليطا من شعر ملوّن وغير ملوّن وخاصة عند ذوي الشعر الداكن فيتحول الى شعر رمادي. فتبدأ الخلايا المنتجة للميلانين بتكوين بيروكسيد الهيدروجين المسؤول عن قصر لون الشعر، والتي عادة تتكسر بواسطة أنزيم **(catalase)**. وهذا الأنزيم يتناقص بتقدم العمر، وعندئذ تتزايد مادة بيروكسيد الهيدروجين الذي يمنع تكوين صبغة الميلانين. كل هذه التفاعلات الكيميائية هي تفاعلات احتراق ذاتي أي اشتعال حيوي.

الشيب المفاجئ

يمكن وصفه بنقصان تكوين صبغة الشعر خلال فترة قصيرة، وفي حالة خاصة عند الإصابة بداء الثعلبة، وداء الذئب الإحمراري الذي يصيب الجهاز المناعي فإنها ستتلف الخلايا الملوِّنة **(melanocytes)** مما يتعذر تكون الصبغات فيتحول الشعر للون الأبيض. وقد سجلت حالة في بريطانيا "أن رجلا عمره 56 سنه قد انقلب شعر رأسه ولحيته الى اللون الأبيض من البنّي الغامق خلال شهر واحد"[37]

كما وسجلت حالات مرضية إذا "تعرض الإنسان لضغوط نفسية مستمرة وخوف دائم فإنهما يؤديان الى تلف المادة الحيوية **(DNA)** والذي يؤدي بالنتيجة الى حالات تشبه تكون الشيب. وهذا ما وجده مؤخرا أحد الحاصلين على جائزة نوبل في بحث نشره حول ميكانيكية تكون الشيب عند التعرض لضغوط عصبية وقلق مستمر"[38].

كما وأن هناك علاقة وثيقة بين الشيب وكبر السن من جهة وظاهرة الخوف من جهة أخرى. فيشيب الإنسان إذا تعرض لخوف مفاجئ أو لضغط عصبي أو حزن شديد، وتراثنا مليء بذلك فيقال: "شَيَّبَ الحزن رأسه وبرأسه، وأَشَابَ الحزن رأسه وبرأسه"[39]. ودليل هذه العلاقة الوثيقة بين الشيب والخوف صرحت به الآية القرآنية في قوله تعالى: (يوْماً يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيباً)[40] أي يوم القيامة وعرصاتها التي تجعل شعر الولدان أبيضا كالثلج من الخوف الشديد المباغت الذي يتعرض له الناس، ويقال: "شاب الانسان يشيب شيباً إذا ابيض شعره"[41].

لماذا الرأس وليس الشعر مرة أخرى: نظرة كيميائية؟

وأمر آخر لا يقل أهمية عن الأول، وهو أن النص القرآني لم يذكر الشعر في الآية ولكنه تحدث عن الرأس. فلم يقل (اشتعل الشعر شيبا)، وإنما: {وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً}، والسبب في ذلك أن الشعر ليس له أدنى علاقة بهذا التفاعل الكيمائي، وإنما هو متأثر به فقط. فالتفاعل يحدث في منشأ الشعر وهي بصيلات الشعر في فروة الرأس تحت الجلد في المكان الذي يحدث فيه تغذية الشعر، "ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس"[42]، ولذلك فقد أشار القرآن الى الرأس الذي تتم فيه عملية التفاعل هذه، والى الاشتعال الذي هو عبارة عن احتراق ذاتي كيمائي للمادة الملوِّنة للشعر فيسبب في ظاهرة الشيب.

الخلاصة

أن الالتفات الى تجدد معنى اللفظ نتيجة توافر المعرفة وسهولة الحصول عليها يعطي فيضا كبيرا يغني التعبير البلاغي في تفسير اللفظ القرآني، فما ذكرنا من نموذجين للفظين يقعان ضمن الاستعارة "الخاصيّة الغريبة فهي ترتفع عن المستوى العام ولا يبلغ شأوها إلّا ذوو الأذهان المتوقّدة والأفهام المرهفة الرقيقة. ولها شواهد كثيرة في القرآن"[43].

ومن الممكن أن نلتفت الى اللفظ (التصعّد) في الآية: {وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ}[44]. والسقف المحفوظ في الآية الكريمة: {وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ}[45]، وغيرهما كثير.

أمكننا أن نتبيّن بوضوح مدى القيمة الفنية الضخمة لهذه الاستعارة {وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً}، ومدى ما تنطوي عليه من دقة ملحوظة بين طرفي الاستعارة (الاشتعال والشيب) أو (الاشتعال والسواد) وحقيقة الاشتعال كيمائيا. ومدى الدهشة الفنية التي تغمرنا حينما نتأمل هذه المماثلة المعجزة بين الاشتعال للشيء وبين انسحابه على عملية تحول الشعر الأسود كيميائيا الى شعر أبيض، أو قل تحول اللون الداكن الى الأبيض. وعلاقة ذلك بكبر السن والقلق والحزن الدائم. تلك جميعا تكشف عن أحد أسرار الفن المدهش في الصورة القرآنية الكريمة. والله العالم

المصادر

1. القرآن الكريم

2. البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكة الميداني الدمشقي (ت 1425هـ)، دار القلم، دمشق، 1995

3. التبيان الجامع لعلوم القرآن، الطوسي (ت 460 هـ)

4. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، حمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984

5. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن مصطفوي (ت 1426 هـ)، طهران

6. التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفه، قم، 2007

7. الدروس شرح الحلقة الثانية، كمال الحيدري، دار فراقد للطباعة والنشر

8. دروس في علم الأصول، محمد باقر الصدر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1986

9. علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، الدكتور محمّد أحمد قاسم والدكتور محيي الدين ديب، مؤسسة الحديثة للكتاب

10. علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 2007

11. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار المعرفة، 2009

12. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين

13. مجمع البيان في تفسير القران، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548 هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت

14. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت 458هـ)، 1996

15. المفردات في غريب القرآن، أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502 هـ)، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، 1412

16. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، منشورات اسماعيليان

17. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت 1104)، دار أحياء التراث العربي بيروت

الهوامش

1 علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 2007، ص 245

2 علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 2007، ص 246

3 وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت 1104)، دار أحياء التراث العربي بيروت، ج 18، ص 149

4 دروس في علم الأصول، محمد باقر الصدر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1986، ط1، ج1، ص 271

5 الدروس شرح الحلقة الثانية، كمال الحيدري، دار فراقد للطباعة والنشر، ج 2، ص 405

6 علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 2007، ص 393

7 علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 2007، ص 295

8 الذاريات 47

9 المفردات في غريب القرآن، أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502 ه)، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، 1412، ج 1، ص 870

10 التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن مصطفوي (ت 1426 ه)، طهران، ج 3، ص 105

11 الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، منشورات اسماعيليان، ج 18، ص 382

12 مجمع البيان في تفسير القران، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548 ه)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ج 9، ص 242

13 المصدر السابق

14 المصدر السابق

15 الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، منشورات اسماعيليان، ج 18، ص 381

16 التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفه، قم، 2007، ج 6، ص 114، انظر: تاريخ العلوم تأليف (پيير روسو) ترجمة حسن صفّاري بالفارسية: ص 862- 868.

17 مريم 4

18 الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، منشورات اسماعيليان، ج 14، ص 8

19 مجمع البيان في تفسير القران، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548 هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ج 6، ص 399

20 البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكة الميداني الدمشقي (ت 1425هـ)، دار القلم، دمشق، 1995، ج1، ص 95

21 علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، الدكتور محمّد أحمد قاسم والدكتور محيي الدين ديب، مؤسسة الحديثة للكتاب، 2003، ج 1، ص 205.

22 التبيان الجامع لعلوم القرآن، الطوسي (ت 460 هـ)، ج 6، صفحة 774

23 التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفه، قم، 2007، ج 5، ص 407

24 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار المعرفة، 2009،ج 1، ص 22

25 التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، حمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج 16، ص 64

26 خواطر محمد متولي الشعراوي، (ت 1418هـ)

27 القمر 12

28 مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، 2000، ص 315

29 التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفه، قم، 2007، ج 5، ص 408

30 مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم – الدار الشامية، 2009، ص 229

31 الحج 22

32 البقرة 266

33 مريم 4

34 المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت 458هـ)، 1996، ج 1، ص 84

35 المصدر السابق

36 المصدر السابق

6112, f bmj. BMJ, E-ISSN: 1756-18333, DOI: 10.1136/37

PMID: 24179085

http://www.nature.com/articles/nature10368 38

39 التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن مصطفوي (ت 1426 هـ)، طهران، ج 6، ص 161

40 المزمل 17

41 التبيان الجامع لعلوم القرآن، الطوسي (ت 460 هـ) ، ج 10، ص 167

42 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار المعرفة، 2009، ج 3، ص 4

43 التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفه، قم، 2007، ج 5، ص 408

44 الأنعام 125

45 الأنبياء 32